العنصر الاسطوري الصهيوني؛ كما وتهدف هذه الصور (مثلها مثل غالبية مضامين مقالات الكتاب) الى تزويد ذهن القارىء بأفكار، ومعلومات، منتقاة ومحدّدة. فمثلاً نرى جزءاً كبيراً من المناظر يشير الى مناطق زراعة صحراوية للتدليل على المجهودات الاسرائيلية المكثّفة لاستغلال موارد البلاد الطبيعية، وتحويل الصحراء الى جنّة خضراء. هنالك إشارة واضحة الى توجيه ذهن القارىء الى مناظر ذات مورفولوجية سكانية يهودية، مثل مناظر مدينتي تل ـ أبيب وايلات. فوضع صور مدينة القدس في صدر المجموعة، ووضع صور حائط المبكى خلفها مباشرة، جاءا ليظهرا أهمية هذه المدينة وقدسيتها لليهود.

لم تُبْرَز المناظر العربية بشكل واضح في هذه الصور. والصورة الوحيدة التي اختيرت لتصف الملامح العربية للبلاد كانت الصورة الأخيرة، وهي صورة المدرّجات المتروكة. فبدلاً من وصفها بأنها أحد الأوجه الحضارية والاجتهادية للفلاح الفلسطيني في استغلاله كل شبر يصلح للزراعة في المناطق الجبلية، واهتمامه البالغ في حفظ التربة من الجرف، أعطت هذه الصورة انطباعاً عكسياً ودعمت الاسطورة الصهيونية القائلة ان البلاد كانت خالية من السكان العرب، أو ان العرب أهملوا استغلال أرضهم. وبالاجمال، يمكننا القول ان مضامين هذه الصور تعكس، الى حدّ بعيد، مضامين المقالات التي خُصصت لهذا الكتاب، وتعكس، الى حد أبعد، اتجاهات البحث الجغرافي الاسرائيلي الخاص بفلسطين، حيث تتمخّض هذه الاتجاهات عن اختيار متعمّد وإبراز مبالغ فيه لجوانب معيّنة من البحث، وفي الوقت عينه تجاهل، أو تقليل أهمية، موضوعات وجوانب أخرى لا تقل أهميتها عنها في ابراز الجغرافيا البشرية الحقيقية لفلسطين.

الاطار النظري

تتعرّض الكتابات الجغرافية، مثلها مثل باقي كتابات العلوم الاجتماعية، لجوانب بارزة من النظرة اللاموضوعية، وذلك لأنها تُعبّر عن تجربة كاتبها، وتخيّلاته ورؤيته الفردية الى المحيط القريب والعالم الأوسع. فكلما ازدادت تجربة الكاتب بالمكان، واندمجت أحاسيسه بالموضوع الذي يبحث فيه، ازداد احتمال تعرّضه للنظرة اللاموضوعية. وهنالك تفسيرات مختلفة لمفاهيم الموضوعية، واللاموضوعية، والقيم الانسانية وعلاقتها بالعلوم الطبيعية، والاجتماعية، حيث تتداخل هذه التفسيرات المختلفة في اطار واهتمامات فلسفة العلوم.

أمّا الجغرافيون، فقد اهتموا بالتخيّل (imagination)، والذي، بدوره، يقود الى اللاموضوعية. وقد حذّر ج. ك. رايت، قبل أكثر من أربعين عاماً، من خطر اللاموضوعية في الجغرافيا، والناجمة عن شدة التخيّل. هذا وقد ميّز رايت بين ثلاثة أنواع من عمليات التخيل، والتي يقود كل منها، بشكل أو بآخر، الى اللاموضوعية في الكتابات الجغرافية: تخيّل انشائي (promotional imagination)؛ وتخيّل بديهي (intuitive imagination)؛ وتخيّل جمالي (aesthetic imagination)[1]. كذلك، فان جغرافيا أي بلد، حسب ج. دبليو. واتسون، تقع في «داخل أحلام شعبها؛ انها جغرافية ماذا يرون، وماذا يريدون، وماذا يفعلون ببلدهم»[2]. وهكذا، فان جغرافيا الذهن ليست الجغرافيا الحقيقة للمكان. أشار أ. كابلان الى انه حتى الكتابات العلمية ليست معصومة عن تأثير اللاموضوعية، على الرغم من ان طرق البحث العلمي تقلل، عادة، من تأثير اللاموضوعية، وذلك باتباعها الاساليب والمقاييس العلمية[3]. أمّا حسب نظرة ج. م. بلوت الماركسية، فان هنالك تأثيراً كبيراً للظروف السياسية والاجتماعية المحيطة بالكاتب (مثل انتماء عرقي، طبقي، جنسي)، حيث ان هذه الظروف